القصص

الحقيقة

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟)

« قرآن كريم »

تململت فى فراشها وظلت تنظر ذات اليمين وذات الشمال ثم تغمض عينيها وتفتحهما ثانية وتفكر اين هى هيه ... اين هى ؟ ... آه انها فى المستشفى ، وقد جاءت اليها منذ ايام ؟ منذ أسابيع ؟ منذ شهور ؟ لا تدرى . ولكن لم جاءت ؟ يقولون انها مصابة بمرض عقلى انهك اعصابها . وحياتها فى خطر من جرائه . هاها ! مضحك ! اهذا كل ماقى الامر ؟ ... ولكن أين أختها ؟ لقد كانت جالسة هنا منذ حين ، ولقد اوصتها ان تكتب كل ماتمليه عليها ، ولكن الظاهر انه لم يكن هناك ما يملى فقامت . وضحكت ضحكة عصبية عالية . هاها ! الساذجة ! الا تدرى ان رحلاتى فى عالم الارواح اصبح يحوطها جو غريب ، جو يقبض الانفاس فلا استطيع التحرك ولا التكلم ولا ... ولا التفكير .. ترى هل اوفق ؟ اعينينى ايتها القوى الخفية ، اعينينى ، ارحمينى ، فما فى مطلبى اجحاف ولا ظلم ولا طمع . كل ما أريده هو ان اعرف الحقيقة .

دخلت الاخت ودلائل السهر بادية عليها : اصفرار فى الوجه ، وورم فى العينين ، وخمول ووهن فى الاعصاب .

« اين كنت ؟ آه من لى بهذا الاطمئنان ، بل هذا البرود الذى يسود حياتك . انت لا تعرفين عما اريد ان أعرف شيئا ، ومع هذا انت لا تأبهين بشىء . ايمان مطلق وهدوء تام . ثم هؤلاء الاولاد ، اولادك ماذا علمتهم عن الحياة ، عن الموت ، عن الله ، عن الحساب ، عن الروح ... لاشىء ، لاشىء ، لانك لا تعلمين شيئا ، ولا تريدين ان تفكرى لتصلى الى شىء »

« كفاك اختاه ما انت فيه من وهن الاعصاب . اريحى رأسك قليلا . لقد شغلت هذه المسائل رءوس آلاف الناس قبلك ، وستشغل رؤوس آلاف الناس بعدك . ولن يوفق اليها احد لأن الله اراد ذلك ، وإرادة الله ليس لها مرد . » فصاحت فيها

« لم ينه الله عن البحث والتفكير ، ولم يأمرنى الا اعرف شيئا عن هذه الاشياء ، اقترنى هنا ، ماذا كتبت ؟ لا لا اريد شيئا من هذا ، اكتبى ما أمليه عليك كله ، اكتبيه رسالة منى الى اهل هذا العالم كلهم ، سأعرف الحقيقة اليوم ، ستقود الى اليها قوة خفية لا أعرف عنها شيئا الآن ولكنى سأعرفها بعد حين . اياك ان تفوتك كلمة واحدة او أشارة واحدة . افهمت ؟ »

« نعم اختاه ، سأكتب كل شىء »

لقد كانت دائمة الصمت كثيرة التفكير . اتسعت دائرة تفكيرها على مدى الايام حتى شملت اعوص ما فكر فيه الانسان واغمضه . ولم تصل الى العشرين من عمرها الا وشغل تفكيرها هذا الكون بما فيه من قوى خفية . قوى تتلاعب بالانسان كيفما شاءت ، وهو لا يدرى من أمرها شيئا . يحاول ويحاول ولكن سرعان مايعرف ضآلة المرحلة التى اجتازها امام ذلك الخضم المظلم من الاسرار والخفايا .

اشفقت عليها أمها مما هى فيه ، وحاولت ان تدخل الى تلك النفس المفكرة الصامتة الحزينة بعض مايسليها أو يريح فكرها ، ولكن نصيبها كان الفشل المؤلم .

وهاهى ذى الايام تجرى سريعة والام يزداد اشفاقها ، وخوفها والفتاة يزداد نحولها وضعفها ، ويزداد احتقارها لكل شىء فى العالم الا ما تفكر فيه . كل متعة تنظر اليها كما ينظر الشاب الى الاعيب صباه ، واذا ما رغبها احد فى اى لذة أو سلوة هزت كتفيها وقالت : « لست أدرى ماهذه السذاجة ؟ لقد القى اليكم مدبر هذا الكون بهذه الالاعيب لتلهوا بها عن اللذة الكبرى : لذة العلم ، لذة معرفة الحياة وما بعدها . »

سارت حالها على مر الايام فارغمت على ملازمة الفراش فى مستشفى الامراض العقلية ، ولكن ذلك لم يمنعها من مواصلة التفكير . وكثيرا ماقرأت فى كتب الدين ، وكثيرا ماقرأت القرآن ، تقف عند بعض آياته فتسترسل فى التفكير العميق ، وكثيرا ما وقفت

عند الآية (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وحملت الآية أكثر ما يمكن من معانى الاستهزاء والسخرية « وهؤلاء الناس لا يعلمون شيئا ، ولكنهم لا يجتهدون فى أن يعلموا شيئا . قنعوا بما لهم وفسروا العلم بتلك المحاولات التافهة التى يقضون العمر فى تحصيلها وكأنها هى العلم ، لقد انشغلوا عن العلم الحق ، عن اهم ما يتشوقون اليه . لقد خدعوا انفسهم والبسوها ثوبا من الايمان والاطمئنان وهم يعلمون فى قرارة نفوسهم انه ليس الا بردا للنار المتقدة ، وملطفا لهذا الطلع الغريزى »

جلست الاخت قرب سرير اختها واخذت تلاحظها وتدون بعض هذه الملاحظات ، وانتظرت والقلم فى يدها ان تكتب ما تمليه عليها كما وعدت ، ولكن النعاس غلبها فنامت . لم يطل نومها حتى قامت فزعة مذعورة على صوت اختها المحتضر وهى تصيح صيحة منكرة قائلة « لن تفتر عزيمتى مهما سارت ، فسرى ايها النور ، سأتبعك ، سأتبعك فوق الجبال ، فى اعماق الانهار ، فى السماء ، فى جوف الارض تعلو وتنخفض ولكنى اتبعك . لن ارجع كما رجعت قبل اليوم ، ولن انظر الى نفسى فتشغلنى عنك ، سر انا وراءك . »

كتبت الاخت واستمرت هى تقول « بدأت افهم ، نعم عرفت ، ولكنى لا أقوى على التعبير عما اعرف ، لماذا ؟ . . . . كلا لن افكر فى هذا ، سر ، سر ، ايها النور انى وراءك ، آه أهذا اذن نموت ولهذا اذن نحيا ، نعم ولهذا يجب الا نعرف ، فهمت ، عرفت ، ولكن يجب ان اعرف اشياء اخرى ، يجب ان اعرف السر الاعظم سر سر ، انى وراءك . »

« نعم لقد عرفت كل هذا ايضا ، ولكن كيف اعبر عنه ؟ فلا أحاول فلا أحاول ، لا ، لا أقوى سأعبر عند ما اعود الى هذا ، الى ماذا اسميه ؟ الى هذا الملعب ، الى روضة الاطفال ، الى ما يسمونه العالم . ها ! ها ! .

« لقد اعيانى السير ، اما آن لى ان اعرف الله ، ان اعرف القوى المهيمنة على كل شىء ، على كل ملاعب الاطفال هذه ، ما اكثر عددها وما اشد اعتداد كل منها بنفسها ! كأن ليس هناك سواها . لقد عييت ، ولكن كلا كلا ، سأسير ، سر انى وراءك . . . . . .

« رهبة شلت حواسى ، لقد امتزج هذا النور الذى اتبعه بالظلام حوله ، ولقد كانا قبل يزيد كل منهما فى قوة الآخر . . جو غريب لا هو ظلام ، ولا هو نور ، شىء ثقيل ينزل على رئتى ، الكلام صعب ، والتنفس شاق . . . . .

ستار هائل عظيم امسكت بطرفه يد خفية . سيزاح هذا الستار دون شك ووراءه الحقيقة الكبرى . كل ما فى يتبض بذلك . ازداد الثقل على رئتى . . . . لا استطيع التكلم ، الستار يزاح ، التنفس عسير عسير ، لقد قضى كل شىء ، سأعرف سأعرف ، سينزل الستار ، هو ينزل بالفعل قليلا . . قليلا ، سأعرف سأعرف ، قليلا ، بطيئا ، لقد عر . . . فت . . . . آه .

ودوت صرختها قوة كالرعد مرعبة محشرجة ، ثم ساد الصمت ، صمت عميق ، عميق رهيب مخيف ، وقفت الأخت عن الكتابة فزعة مذعورة ولكنها لم تقو على تحريك رأسها ناحية أختها المريضة ، حاولت ان تنادى فلم تفلح ، واخيرا أدارت رأسها فصرخت هى الاخرى صرخة مروعة ، امامها عينان جاحظتان خيل اليها انهما فصلتا من الرأس ، وانهما كل شىء على الفراش . وحولهما عروق نافرة زرقاء متوترة مشدودة اغمضت عينيها وفتحتهما مرة ومرتين ، واخيرا استطاعت بعد لأى ان تمد يدها لتلمس الجسد امامها ، فردت يدها قشعريرة شديدة مكهربة ، ودوى صوت هائل رن فى اذنيها . تبينته فاذا هو ضحك استهزاء ، ضحك غريب الصوت متواصل ، وكأن آت من عالم آخر ، ليس لها به عهد ، ضحك ، بل اغراق فى الضحك ، ثم ماذا ؟ صوت كلمات ، صوت هادىء رزين ولكنه مسموع برغم هذه الضحكات الهازئة العالية المتواصلة . ماذا يقول ؟ ماذا ؟ . (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟)

سهير القلماوي

مدارس المراسلات المصرية

بكالوريا . كفاءة . ابتدائية . لغات

صحافة . تأليف الروايات . رسم

المناهج على أحدث نظم وزارة المعارف المصرية والجامعات الاوربية والامريكية . رسوم فى غاية المهاودة ونتائج باهرة . كل تلميذ فى منزله فصل بذاته ومدرسته لتحل كلها له وحده . أطلب كتاب (طريق النجاح) ، و (كيف تكون كاتبا) يرسلا بدون أى مقابل ، فقط ١٠ مليمات طوابع بوسته تكاليف البريد . قسيمة مجاوبة فى الخارج . أكتب باسم :

محمد فائق الجوهرى

مدير مدارس المراسلات المصرية ١٩ شارع سنجر السرورى بالقاهرة

تليفون رقم — ٥٠٣٥٩